ـم البابايا

«الثور وشجيرة النعناع» للسوداني ابراهيم الصلاحي (400× 396 سنتم ـ 1972)

المخلوق!
لكنه سرعان ما يعود إلى الهدوء، عندما تظهر أمامنا حاملة صينية الشاي أو الغداء، ثم يثرثر بصوت خافت:
عليّ ترك هذا الأمر مفاجأة لكِ.
عندما أنظر إلى سارة أستنتج أنه قد وضع قدماً في طريق الجنون، وهو على وشك وضع الأُخرى ليبدأ المشي فيه.
سارة إمرأة جميلة، لها قوام غزال وهدوء قط، إنها مثل الهدوء الذي يسبق العاصفة، لذلك عندما تثور لا يستطيع أحد إيقافها، لكن بمجرد أن تسكن وتهدأ، فإنها تصير مثل زرقة البحر، تغرم بها من أول نظرة، لذلك لا يستطيع جون إلا أن يحبها، لكنه أصبح خائفاً في الأيام الأخيرة، من أنها سوف تُخطف منه، إذا ظل على حاله من الفقر وسوء الحظ كما يعتقد.
فشلت محاولات الأصدقاء في إقناعه بغير ذلك، وربما الأمر يعود إلى ملابسات زواجه نفسها، فهو قد أفسد زواجاً مدبراً لها، كان سيضمن لأسرتها رمي الفقر والعوز وراءها إلى الأبد.
كان الوعد فردوساً بالنسبة لأي أسرةٍ تعيش الحرب، سوف تسكن في أي مكان تختاره هي، سوف يكون لها منزلها الخاص، وما لم يُقل هو أن الأسرة سوف تتلقى الدولار كل شهر في ويسترن يونيون.

الحب فقط كان غائباً عن جميع الوعود التي قُطعت، الوحيد الذي لم يكن، لم تستطع أن تقبل ولو في خيالها أن تنام بالقرب من رجلٍ في عمر أبيها، وقد كرهت فيه منذً أن رأته لأول مرة بصيلات شعره البيضاء، التي لم تستطع الصبغة الكثيفة إخفاءها، لقد بدا مقززاً في وجهها.
لم تعترض على إجراءات الزواج وتحضيراته، طوال أسابيع وأيام، كان المنزل مثل خلية نحل من الزوار، لكن في اليوم المنتظر لم تظهر، لم تكن موجودة في غرفتها كالعادة، بحثوا عنها في كل مكانٍ دون طائل، لم يتوقع أحدُ من أهلها أنّ تكون هنا؛ في مثل هذا البيت الوضيع.
جلبت العار، وطردت الرزق!
قال الأقارب بل لم يزرها أحدُ منهم أما هي فقالت: هذا أفضل للجميع.
الآن يقولون عن جون إنه مجنون، ويقولون عن سارة إنها منحوسة الحظ، وأنا أقول البلد معتوه لأن الشهادات أصبحت هنا محض أوراق، لا تقدم ولا تؤخر إلا عند الاستخدام في المرحاض، لأن الدم أصبح الشهادة المعتمدة لدى الحكومة، والنتيجة أنه ظل دون عمل رغم أن جميع الذين درسوا معه فعلوا ذلك.
وبعد أن نفد صبره، وجد وظيفة مدير في بيت دعارة، أعطوه راتباً جيداً وسيارة، وبعد أن بدا أنه في طريق تحقيق الحلم الجنوبي، تخلى عن العمل بعد أقل من شهر، وعاد إلى حياته الأولى وهي العمل كسمسار دولار، ينتهي كل ما حصل عليه في نفس اليوم، ليعود إلى السوق في اليوم التالي فارغ اليدين.
عندما أتت سارة وجد نفسه في طريق آخر، أصبحت المشكلات تحتاج إلى حلولٍ فورية: الغرفة التي يتسرب الماء منً سقفها في ليالي الخريف الماطرة، ضرورة بناء مظلة من أجل حر الصيف الشديد، توفير الدواء عند المرض، وهنالك الخوف الدائم من الأصهار الذين قد يظهرون في أي وقت.
في مرة من المرات بدأ يفكر جاداً في أن يترك سارة، ويهاجر إلى أي من بلاد الله الواسعة، وشرع في التحضير لذلك بأن استخرج جواز سفر، وشهاداته الدراسية، وانخرط في محاولة لإقناعها بأن تزور أهلها بضعة أيام. ربما اشتاقوا إليكِ، كوني أفضل منهم.
كان يحاول أن يكسب الوقت حتى يكمل ترتيبات سفره سراً، لكنه عاد إلى المنزل ذات نهار، ورمى بالشهادات في النار ولم ينس إحراق الجواز أيضاً، فقد حدث له أمرٌ ما.
في الطريق إلى السوق صباحاً ذلك اليوم ناداه رجلٌ غريب باسمه، وأخبره أن حظه في الحياة سوف يتغير إذا ما جلب له كبد «ورل». منذ ذلك اليوم وهو ما يزال يذهب إلى النهر كل يوم، دون أن يكلّ أو يملّ وأنا من خلفه أجري.

شهادة/ أكثر من إزميل للنحت

جون بوي *

بعد أن كتبتُ رواية سوف تصدر قريباً، وأكثر من قصة قصيرة إلى جانب الشعر ـ الذي هو معي على الدوام ـ ما زالت أجدُ نفسي هاوياً، بل وكلما تقدمت بي السنوات أشعر أنني ما زالت عند نقطة البداية في الكتابة وكل ما يتعلق بعوالمها الرهيبة والرحبة في آن معاً، حيث يتحول فعلها عندي من مجرد كونها إحدى أدوات التسلية إلى أداة مهمة لطرح الأسئلة الحرجة، حول الحياة والإنسان وكل الأشجان المتصلة بهم. والكتابة في بلد مثل جنوب السودان هو بكل تأكيد فعل مؤرق، حيث لا يزال كل شيءٍ مكتنفاً بالضباب مع سفور الفساد والإساءة إلى كرامة الإنسان، وهي للعجب ذات الأشياء التي قادت ابتداءً إلى تكوين الدولة نفسها منفصلة عن السودان، والأمر يبدو وكأنما التاريخ يضحك علينا ويسخر منا عبر ساستنا، وهذا الأمر يشكل انعطافة بالكتابة من محطة الحديث عن المهمشين إلى محطة الحيرة حول ماهية التشخيص السليم، لما آل إليه حال المهمشين عندما أصبحوا هم سادة أنفسهم ومالكي قرارها، حيث أصبحت الدولة الجديدة نسخة من تلك القديمة بكل أمراضها واحتمال مشاركتها ذات المصير.
لكن ذلك لا يعني أن الأسئلة الجمالية للكتابة لا تجد العناية الكافية وتبتلعها السياسة، فالثابت هو أن الكتابة في النهاية عملية إبداعية لها شروطها التي يجب العناية بها، لأن الأدب في النهاية لا يقاس بأهمية القضايا التي انشغل بها، وإنما بكيفية مقاربته إبداعياً لتلك القضايا، وهنا أقول أن التوزع بين حقول شتى من ضروب الكتابة؛ الشعر، القصة القصيرة، وأخيراً الرواية يجعلني في وضع مريح جداً، من حيث تناول القضايا التي تشغلني إبداعياً وبين يدي أكثر من إزميل للنحت. وهي في النهاية قضايا لا تختلف عن تلك التي تشغل جميع المثقفين الجنوبيين تقريباً، وهي التركة الثقيلة من الحرب الطويلة بين الشمال والجنوب، وكيفية تأثير ذلك على تشكل الواقع اليوم بالإضافة إلى فخ الفساد وإهدار كرامة الإنسان الذي سقطت فيه البلاد. ورغم أن الذي يجعل تفضيل نوع معين من أنواع الكتابة على غيرها هو طبيعة الموضوع نفسه، كأمر بديهي يمكن الاتفاق حوله إلا أن الرواية تظل هي الضرب الذي يمكن أن يعالج تلك القضايا الشائكة على النحو المُرضي، من حيث أنه الشكل الذي يتحمل بطبيعته الوعورة التي تحملها مثل تلك القضايا، لكن في النهاية تظل عملية الكتابة هي السيدة التي توجه الدفة رغم كل الأفكار المسبقة التي قد يحملها الفرد عنها ولها.

ليلة قمرية

ستيلا قايتانو *

عهدتها وارفة الظلال، متينة الجذع، كثيفة الأغصان، فارعة الطول، وهي تقف في منتصف بلدتنا تتوسط القطاطي في حنية صادقة. كانت تلك الشجرة مقراً لمهمات وهزليات البلدة، كانت مجلساً للسلاطين وكبار رجال البلدة، وكانت منتدى للشباب والصبيان، يرقصون قربها في الليالي القمرية على أنغام الطبول الشجية، تلك الأنغام التي تنبعث بالرهبة والرغبة، ولم لا وهي وليدة الاستوائية وابنة الأدغال؟ ذلك العالم المغلق.. العالم الذي إذا اقتحمته أعطاك الخير والشر بذات القدر، يمنحك الخوف والأمان، الموت والحياة وكل التناقضات. كانت مقر التائه، واستراحة المتعب، ومنزل المسافر، أصبحت معلماً بارزاً في قريتنا، وفي آخر ليلة قمرية تهيأنا لنعد العدة للرقص والأغاني الزنجية. الفتيات تجمعن بأجسادهن السوداء، تزينهن سلاسل مرتبة في الطول والقصر حول أعناقهن وأساور عريضة من العاج تحيط بالمعاصم، وخلاخل في الأرجل تصدر أصواتاً رتيبة، وتنورة تغطي الجزء الأسفل من الجسد، بدأ الرقص اهتزت الأجسام متناغمة مع الطبيعة الصارخة وأشعة القمر تصطدم بالجلود السوداء، اللامعة لترتد إلى مصدرها الأول. فجأة حدث شجار قوي بين مجموعة من الشباب، الفتيات صرخن في فوضى، أمرهنّ أحدهم: اذهبن إلى بيوتكن. هرولن في رعب، كان الصراع بين ثلاثة شباب من القرية المجاورة فتصدى لهم ثلاثة شباب من قريتنا لأنه ليس من الشرف والرجولة أن نصارعهم جميعنا.. انتهى الصراع كما ينتهي أي صراع كل يوم، لا يحمل أحد منهم حقداً أو كراهية. في الليل سطع ضوء قوي وسط القرية وأخذت ظلال القطاطي تتراقص في جنون، خرجت القرية في لحظة، وأخذت تنظر في حزن. اشتعلت الشجرة في حريق هائل، شلت حركتهم، كأن أجسادهم هي التي تحترق، حاول بعضهم إطفاء النار، ولكن دون جدوى لأن النيران كانت قد وصلت القمم، وأخذت تلتهم الأوراق في شراهة. كانوا يحسون بها كأنها تنتفض وتصرخ: أنقذوني.. أنقذوني، ولكن من ينقذها؟ من ينقذ الأم الحنون؟ من يستطيع تسلق شجرة من نار.. من؟ وفي قمة هذه الأسئلة تلبدت السماء، تجمعت السحب الداكنة وانفجر الرعد في غضب ثائر. أمطرت السماء في غزارة الأمطار الاستوائية المفاجئة. كانوا يقفون في أماكنهم غير مبالين بالأمطار فقط كان همهم أن تنطفئ النار.. وانطفأت.. توقفت السماء عن البكاء وكثرت الأسئلة. من أحرق الشجرة؟ وكثرت الشائعات.. أصبحت سوداء كئيبة مثل شبح يريد التهام القرية، وكثرت أسئلة عشاقها، هل ستخضرّ الشجرة مرة أخرى بعد أن فقدت أوراقها؟ وهل ستعود إليها الحياة بعدما رسم الموت آثاره عليها؟
وفي يوم كنا نجلس تحتها نتذكر الأيام الحلوة التي قضيناها قربها ونلعن الشبان الثلاثة، لا بد أن لهم يداً في الحريق. ورفعت رأسي أنظر إليها، كأني أريد إعادة الحياة لها، فتخيلت، بل لمحت هناك فرعاً صغيراً أخضر بين الفروع المتفحمة لا يكاد يرى. نهضت من مكاني كأنني أريد الطيران، كأن شيئاً لسعني، فتسلقتها دون أن أرد على أسئلة أصدقائي المقلقة، حتى وصلته. نعم إنها مخضرّة، إنها حية، الشجرة لم تمت، صرخت بهذه الكلمات دون وعي، والدموع تسيل على خدي. احتضنت الفرع كأني احتضن جزءاً مني واحتضن أصدقائي الجذع كأنهم يحتضنون أماً عادت بعد غياب.

* كاتبة من جنوب السودان. لها مجموعتان قصصيتان: «زهور ذابلة»، «العودة».